د٠ علي أحمد العريني

نعم إنه أحمد شوقي ٠٠٠٠

الذي غرد فأطرب الوادي ، وأنشد فأطرب العروبة جمعاء ٠٠٠

ذلك الرجل الذي شهد له أدباء العروبة ، وما اجتمعوا علي شاعر أو أديب في جيل من الأجيال بمثل ما اجتمعوا له ٠٠

وما احتفلوا بنبوغ شاعر في أي عصر من العصور ، وشهد له إخوانه في حفل عام إلا لشوقي ٠٠٠

فهذا حافظ ابراهيم يضع يده في يده مبايعا ، ويستهل افتتاح ، الحفل الذي أقيم لمبايعته بإمارة الشعر في هذا الحين من الزمن بقوله :ـ

أمير القوافي قد اتيت مبايعا

وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

وتوالت الوفود لمبايعته ٠٠٠٠ ووجد من التكريم ، والإجلال ما لا يتحقق لغيره ٠٠٠٠

فلقد قدم أمير البحرين لأمير الشعراء في سنة ١٩٢٧ هدية تتفق مع ما جاء في شعره في النخيل ٠٠٠

فيا نخلة الرمل لم تقصري

ولا قصَّرت نخلات الترب

فقدم له هديته التي تتمثل في نخلة من الذهب الخالص طولها ثلاثون سنتيمترا ٠

وجزعها وسعفها من الذهب الخالص .. أما ثمرها فتمر من اللؤلؤ الحر .. (١)

كما دفع ايضا الاتحاد النسائي المصري الي إهدائه كأسا من الذهب الخالص يوم مبايعته بإمارة الشعر في سنة ١٩٢٧ م (٢)

والسر في ذلك (ملك عناية القوافي ؛ وذللها في سهوله ويسر وزاحم فحول الشعراء النوابغ في العصور المتقدمة - كالنابغة ،وزهير وجرير وغيرهم .....

وحقق للشعر العربي مالم يتحقق له من قبل ، وذلك بتفوقه في الشعر المسرحي والقصصي ، والتاريخي والرمزي علي لسان الطير والحيوان ...، ومشاركته في الأحداث الجسام ...

فكان قيثارة الوادي ، التي ينبع منها النغم الحقيقي لآهاته ، وتأوهاته ...

والتي صرحت بآلام الشرق العربي وآماله .....

نري ذلك في صفحات الأدباء المعاصرين له ....

فنقرأ لإبراهيم المازني قوله :-

(كان شوقي أنضج شعراء طبقته ، وكان أدقهم تعبيرا، وأبلغهم ومازال رأي فيه كما كان وهو أنه كان في صدر حياته أشعر منه في أخرياتها، ولكنه في العهد الأخير كان أبلغهم عبارة ، وأعلم بيانا) (٣)

---

(١) كتاب الهلال اكتوبر ١٩٤٧
(٢) نفس المرجع السابق
(٣) المرجع السابق ....

ولمحمد توفيق دياب :

(مات سوقي الذي يحده الجسد ، فليحي شوقي شعرا طليقا في الأرض ، وروحاً طليقا في السماء) (١)

ولحافظ إبراهيم :

(والله إن شوقي لشاعر ، وإنه لأشعر مني ، وما كفرت بهذه الحقيقة في شبابي وكهولتي ، ولا أريد أن أكفر بها في شيخوختي ، وأود أن يعرفها الناس بعد مماتي ....) (٢)

وهو القائل :

ولم أحسن من أحد في الشعر يسبقني
إلا فتي ماله في السبق إلاّه
ذاك الذي حكمت فينا براعته
وأكرم الله والعباس مثواه

كما أنشأت كلية الآداب جامعة القاهرة كرسيا باسمه تقديرا لجهوده في النهوض بالشعر (٣)

وابرز ما جاء في شعر شوقي المديح ... وله في هذا رأيه فنراه يقول :-

يظهر المدح رونق الرجل المـا ٪ جد كنسيف يزدهي بالصقال
رب مدح أذاع في الناس فضلا ٪ وأتاهم بقدوة ومثال
وثناء علي فتي عم قومـا ٪ قيمة العقد حسن بعض الآلي

(١) المرجع السابق (٢) من فعال لطاهر الهلالي اكتوبر ١٩٢٧
(٣) شوقي شعره الاسلامي د/ ماهر حسن صـ ٥

فكان في كل مدائحه يدعو إلي الإصلاح ، ويخـــدم الوطن ، لأن الإصلاح لا يتأتي إلا بأمرين من الأعلي ولا يكون ذلك إلا بالمدح حيث الأعمال التي قام بها الممدوح ، والتي تخدم الأمة ، فيجـــب عنده فعل الخير ... وهـذا ما يطلق عند بعض المفكرين بالثـــورة البيضاء ... ...

او يكون العكس بالمدفع والسيف وهذا ما يعرف عندهم بالثـــورة الحمراء .....

وشوقي بحسب طبيعته وحياته وثقافته ، يميل إلي الاصلاح مـــن جانب السلم ، والأناة ..... فنري ذلك في قوله :-

ولا جال إلا الخير بين سرائري

لـدي شدة خيريَّة الرغبـــا ت

فيمدح الخديوي عباساً ولكنه يقول :-

لا يظهر الكبراء آية عزهـم ٪ حتي يقّروا آية الأفكـــار

ويذكره في قصيدة أخري بأهمية العلم :

ترك النفوس بلا علم ولا أدب

ترك المريض بلا طب ولا آسي

وإذا قال للخديوي توفيـــق

لك مصر يجري تحت عرشك نيلها

فإذا به يقول له في نفس القصيد .....

كانت خزائن ملكها بيد البلي

نهباً مباحاً للرقيب دخولهـــا

ألفت مفاتحها إليك فأصبحت

يزن الزمان كنوزها ويكيلهـــا

واذا مدح الملك فؤاد عقب بقوله :

إن سرك الملك تبنيه علي أسس
فاستنهضن البانيين العلم والأدبـــا

وارفع له من حبال الحق قاعـــدة
ومد من سبب الشوري له طنبـــــا

إن شوقي يوجه المدائح ، ولكنه لا ينسي المطالبة بالإصلاح لأن شعب مصر واع ، متحفز ..

نري ذلك حيث يقول :-

إذا ملكت النفوس فابغ رضاهـــــا
فلها ثورة وفيهـــا مضـــــــاء

يسكن الوحش للوثوب من الأســـــر
فكيف الخلائق العقـــــــــلاء

انه أحمد شوقي .... وقد رأي شعوب العالم الحر ، تأخذ نصيبها من خير الوطن .... وقد آن للمصري أن يشارك في الحكم ، فمن روائعه عند اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون ....

زمان الفرد يا فرعون ولّـــي ... ودالت دولة المتجبرينـــــا
وأصبحت الرعاة بكـل أرضن ... علي حكم الرعيـــة نازليـنـــا
فؤاد أجل بالدستور دنيـــا ... وأشرف منك بالإسلام دينـــا
بني الدار التي لا عـــــز إلا ... علي جنباتهـــا للمالكينـــا
ولا استقلال إلا في ذارهـــــا ... لمتبوع ولا للتابعينـــــــا

أليس من عمل اليراع أن يمدح المرء بمحمدة ، لنحببها إليه ، وأن نذم له منقصة لنكرهه فيها - وهذا ما فعله أحمد شوقي في قوله

للسلطان محمد رشاد ....

جددت عهد الراشدين بسيـــــرة
نسج الرشاد لها علي منوالـــــه

بنيت علي الشوري كصالح حكمهم
وعلي حياة الرأي واستقلالـــــه

وفي قوله في كبت للحريات .....

وإذا سبا الفرد المسلط مجلســـا
ألغيت أحرار الرجال عبيـــــدا

وقد سار الركبان ، وخلدت الأيام قوله :

جلال الملك أيام وتمضـــــــي
ولا يمضي جـلال الخالدينـــــــا

ومن هنا عرف الشجاعة في الرأي ، وحسن الصياغة في القول ،ليحقـق للأمة ما يريـــد ، دون سفك دماء ...

فهو الذي نـدد بحكم الفرد ، وأنحي علي الحكم المطلق ، وعلي الاستبداد ، فهو يعتز بأحرار التفكير الذين خرجوا علي مظالم الحاكم المستنبد ، وآثروا الهلاك علي أن يكون أحدهم أمعة فـــي ركب الحكم ، يهنأ بالعيش الرغيد وهو ذليل .....

ذهب الذين حموا حقيقة علمهـــم
واستعذبوا فيها العذاب وبيـــلا
في عالم صحب الحياة مقيَّـــدا ٪ بالفرد مخزوما به مغلـولا

قم للمعلم وفه التبجيـــــــلا كاد المعلم أن يكون رســـولا
أعلمت أشرف أوأجل من الـــذي يبني وينشيء أنفسا وعقـــولا
سبحانك اللهـم خير معلـــــم علمت بالقلم القرون الأولـــى
أرسلت بالتوراة موسي مرشـــدا وابن البتول فعلم الإنجيـــــلا
وفجرن ينبوع البيان محمـــــدا فسقي الحديث وناول سلسبيـلا

ثم نري التوجيه ..... فيقول .....

وإذا المعلم ساء لحظ بصيـــرة
جاءت علي يده البصائر حـــــولا

وإذا المعلم لم يكن عدلا مشـــــي
روح العدالة في الشباب ضئيـــــلا

ثم يوجه لتعليم النساء :-

وإذا النساء نشأن في أميـــــة
رضع الرجال جهالة وخمـــــــمولا

ويمد بصره إلي الجامعة الأم .... جامعة الألف عـــام إلي الأزهـــر الشريف ..... تلك البناية التي كان لها ... ولا يزال أفضـــل الأثـر في توجيه المسلمين عامة ، والعرب خاصة فمنها انبثقـــت الجامعات علي الصعيد العربي ، والإسلامي ....

قم في فم الدنيا وحي الأزهـــرا
وانثر علي سمع الزمان الجوهـــرا
واذكره بعد المسجدين معظمـــا
لمساجد الله الثلاث مكبـــــــرا

واخشغ منيا وأنض حق أئمة

طلعوا به زُهراً وماجـوا أبحـرا

يامعهداً أفني القرون جداره

وطوي الليالي ركنه والأعصـرا

ومشي علي يبس المشارق نوره

وأضاء أبيضن لجّها والأحمـرا

وأتي الزمان عليه يحمي سنـة

ويذود عن نسك ويمنع مشعـرا

كما أنه يشيد بالجامعة المصرية ، وبالذين جاهدوا في سبيل بنائها فنعمت بها مصر ، والعالم العربي ، والإسلامي ،

لله جامعه نهضت بأمرهـا

هي في المشارق مصدر الأنـوار

أمنية العقلاء قد ظفروابهـا

بعد اختلاف حوادث وطـواري

والعقل غاية جريه لأعنة

والجهل غاية جريه لعثـار

بالعلم يبني الملك حق بنائه

وبه تنال جلائل الأخطـار

إنه أحمد شوقي ... حق لهذا العالم أن يكرمه ، فقد جند براعة لخدمة مصر .... والعالم العربي ، والإسلامي ....

ولم يرد بمدحه إلا الخير لمصر والعالم العربي ، والإسلامي فكان له رأيه في المدح ....

رب مدح أذاع في الناس فضلا
وأتاهم بقدوة ومثال

وثناء على فتي عمّ قوما
قيمة العقد حسن بعض اللآلي

وهكذا جند المدح في خدمة الوطن العربي ، والقيم الإسلامية الراشدة ..... وبناء الشباب ، وغرس الفضائل في النفوس ، فكان جديرا بالحفاوة والتكريم ، وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون..

دكتور

علي أحمد العريني
كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر
بأسيوط